الملتقى الوطني:" المديح النبوي في الشعر الجزائري"

يوم 23 أكتوبر 2024،

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة.

قصيدة المديح النبوي في شعر "ليلى لعوير"

بين الرؤيا والتشكيل

الأستاذة الدكتورة زهيرة بولفوس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة

الملخص:

مداخلتي في هذا الملتقى موسومة " **قصيدة المديح النبوي في شعر " ليلى لعوير" بين الرؤيا والتشكيل**" ؛ وقد تعمّدت توظيف مصطلح "قصيدة" وليس شعر "المديح النبوي" أو فن "المديح النبوي" في شعر الشاعرة الأكاديمية "ليلى لعوير" لاعتبارات عدة ، لعل أهمها أن تجربة المديح النبوي في شعرها مشروع إبداعي لمّا تكتمل أطره الموضوعية والفنية بعد، فهي لا تزال تشتغل عليه عبر مسارها الإبداعي ولم تفرد دواوين خالصة لشعر المديح النبوي، بل إن قصائد المديح النبوي احتلت حيزا في دواوينها ، كما أن لشخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) حضورها الفاعل داخل متونها الشعرية- كما سنبين في ثنايا المداخلة- وخصوصا أنها توجهت مؤخرا صوب نظم الأناشيد الدينية ، وهي تجربة تكاد تتفرد بها الشاعرة في المشهد الشعري النسائي في الجزائر.

Abstrac

This paper, presented at the present symposium, is entitled ***"The Prophetic Praise Poem in the Poetry of Laila Laouir: Between Vision and Poetic Formation."*** *The choice of the term "poem"—rather than "Prophetic praise poetry" or "the art of Prophetic praise"—in reference to the work of the poet and academic* ***Laila Laouir*** *is deliberate and grounded in several considerations. Most notably, the Prophetic praise experience in her poetry constitutes a creative project whose thematic and aesthetic frameworks have not yet reached full maturity. It remains an evolving endeavor throughout her poetic trajectory, as she has not devoted independent poetry collections exclusively to Prophetic praise; instead, Prophetic praise poems are integrated within her various collections. Furthermore, the figure of the Prophet Muhammad (peace be upon him) occupies a dynamic and influential presence within her poetic texts—as will be demonstrated in the course of this paper—particularly in light of her recent engagement with composing*

religious chants, a poetic experience that distinguishes her within the Algerian female poetic landscape.

المداخلة:

يعد "المديح النبوي" أحد أهم موضوعات الشعر النسائي العربي منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا؛ حيث عكفت الشاعرات العربيات على نظم القصائد في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) حبا فيه، وتمجيدا لصفاته، وأخلاقه السامية الرفيعة، وإقرارا بصدق نبوته، وتعبيرا عن الشوق لرؤيته أو زيارة قبره الشريف، وتجسيدا لصورة النموذج الكلي المتسامي للإنسان الكامل المنزه عن الخطأ والضلال.

لم تكن الشاعرات الجزائريات المعاصرات بمعزل عن هذا الجنوح صوب مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والبوح بحبه والشوق إلى رؤيته، والتغني بجميل خصاله؛ حيث شهد شعر المديح النبوي حضورا لافتا في المدونة الشعرية النسائية الجزائرية المعاصرة، ومنها تحديدا شعر الشاعرة "ليلى لعوير".

نهضت هذه المداخلة إذا من أجل الكشف عن التجارب النسائية المعاصرة التي نظمت شعرا في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتتبع حضور قصائد "المديح النبوي" في تجربة الشاعرة "ليلى لعوير" تحديدا، ودراستها -من حيث الرؤيا والتشكيل الفني-.

تشتغل هذه الدراسة على محورين متلازمين، ومتقاطعين في الآن ذاته؛ الأول منهما نظري يسعى إلى التعريف بشعر المديح النبوي والحفر في تاريخ حضوره في الشعر النسائي العربي القديم والمعاصر، والجزائري منه تحديدا، أما المحور الثاني فتطبيقي يسعى إلى تتبع قصائد "المديح النبوي" في شعر الشاعرة الجزائرية "ليلى لعوير" ودراستها من حيث الرؤيا الشعرية والتشكيل الفني، بغية الكشف عن طبيعة الرؤيا الشعرية التي تحكم مسارها الشعري، وكذا الكشف عن جماليات قصائدها في مدح خير الأنام، وعن فرادة هذه التجربة الشعرية وتميّزها أيضا، ولعل هذا ما سيتضح تباعا من خلال المباحث الآتية:

1- "المديح النبوي" في الشعر النسائي العربي- مداخل نظرية:

عُرف المديح عموما بأنه «فن الثناء والاكبار والاحترام، وذكر الصفات الطيبة والمزايا الرفيعة والأخلاق السامية الموجودة في الممدوح »[1]، في حين ارتبط "المديح النبوي" تحديدا بمدح شخص (الرسول صلى الله عليه وسلم)؛ فهو « لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، لأنه لا يصدر

1- سامي الدهان : فنون الأدب العربي (المديح)، دار المعارف، القاهرة ، مصر ،ط5، دت، ص01.

إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص»[1] ، و«ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخَلقيَّة والخُلقيَّة، وإظهار الشوق لرؤيته ، وزيارة قبره، والأماكن المقدّسة التي ترتبط بحياته صلى الله عليه وسلم ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعرا، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى، والصلاة عليه تقديرا وتعظيما»[2].

لم يكن هذا الفن حكرا على الرجال دون غيرهم؛ فقد سجلت تاريخيات شعر "المديح النبوي" حضورا لافتا لبعض الشواعر اللواتي عاصرنه (صلى الله عليه وسلم) ونظمن العديد من القصائد في مدحه والتغني بجمال صفاته؛ وكرم أخلاقه ؛ فقد دأبت المرأة/ الشاعرة منذ الوهلة الأولى للدعوة الإسلامية المجيدة على مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) تعبيرا عن عواطفها الصادقة اتجاهه وتأكيدا على فرادته وتميّز رسالته بوصفه النموذج الكامل المكتمل في تاريخ البشرية ، ولنا في مديح أخته من الرضاعة الشيماء بنت الحارث السعدية له خير مثال على ذلك ؛ حيث تقول[3]:

حتى أراه يافعا وأمردا يا رب ابق لنا محمدا
ثم أراه سيدا مسوّدا واكتب أعاديه معا والحسدا
واعطه عزا يدوم أبدا.

كما سجل تاريخ شعر "المديح النبوي" النسائي ما نظم في رثائه على ما فيه من معاني الحرقة والأسى ووجع الفقد ممزوجة بمدحه وإبراز عظمته وفرادة وجوده، ولعل هذا ما أوضحه " زكي مبارك" بقوله: «إن أكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء إلا في رسول الله يسمى مدحا ، وكأنهم لاحظوا أن رسول الله موصول بالحياة ، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء»[4]

ومن ذلك مثلا مرثيات عمته عاتكة بنت عبد المطلب التي جاء فيها [5]:

يا عين جودي ما بقيت بعبرة سحا على خير البرية أحمد
يا عين فاحتفلي وسحي وامسحي فابك على نور البلاد محمد
فابك المبارك والموفق والتقي حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد

1- زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط1، 1335هـ - 1935م، ص17.

2- جميل حمداوي: المديح النبوي في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1428هـ -2007، ص 01.

3- ينظر: ليلى لعوير: المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر، ع3، 2020م، ص 795.

4- زكي مبارك : المدائح النبيوية في الأدب العربي ، ص 18.

5- أبو محمد عبد المحسن السلمان: مجموعة القصائد الزهديات، ج2، مطابع الخالد للأوفسيت، الرياض، ط1، 1409هـ، ص 395.

بكت الشواعر والنساء عموما فقد رسول الأمة وإمامها بحرقة مصدرها حب كبير لشخصه صلى الله عليه وسلم وشوق إلى لقائه؛ من ذلك مثلا نظمته " أم السعد الحميري" المعروفة بـ"سعدونة " التي تمنت لثم نعاله الشريفة في الفردوس الأعلى؛ في قولها[1]:

سألثم التمثال إذ لم أجد للثم المصطفى من سبيل
لعلني أحظى بتقبيله في جنة الفردوس أسنى مقيل
في ظل طوبى ساكنا آمنا أسقى بأكواب من السلسبيل
وأمسح القلب به عله يسكن ما حاش به غليل
فطالما استشفى بأطلال من يهواه أهل الحب في كل جيل

ومن تاريخيات الشعر النسائي في مدح الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ما نظمته الشاعرة عائشة الباعونية الدمشقية (ت 922هـ) في بديعيتها الموسومة " الفتح المبين في مدح الأمين" [2]، التي فاقت بمعانيها وجمالياتها بديعية صفي الدين الحلبي وغيره من أهل البديع وذوي العرفان[3]، ولعل ما أكده أحمد حسن الزيات في حديثه عن تميّز الشاعرة وتفوقها عن شعراء جيلها بقوله : «يثير عاطفة الإعجاب في المرء أن يرى في هذا العصر المظلم امرأة كالباعونية تبارز الرجال في العلم والأدب ولا يعيبها أن تكلف بالسجع وتتكلف البديع ، وتغوى باللفظ وتقصر إلهامها على المدائح النبوية، فإن المرء صنيع بيئته والشعر الحق مرآة صاحبه وصورة قلبه»[4].

لم ينقطع شعر المديح النبوي النسوي -على قلته موازنة بشعر الشعراء الرجال- عبر مسار تطور الشعر العربي حتى حصرنا هذا، وقد قدمت الباحثة " ليلى لعوير" دراسة جادة حول "المديح النبوي في الشعر النسائي المعاصر" أكدت فيها أن شعر المديح النبوي النسوي المعاصر نشأ في كنف الصحوة الإسلامية بقولها: «شعر المديح النبويلم يبرز في الشعر العربي المعاصر بقوة في اعتقادي إلا مع شعراء وشاعرات الصحوة الإسلامية أو المرتبطات بخيط روحي بمعاني الدين الإسلامي كعاتكة الخزرجي ووفاء وجدي وسمية العتيلي ونبيلة الخطيب وعلية الجعار وسعاد الناصر وآمنة المريني وغيرهن كثر ...واللواتي عاد النبي في أشعارهن رمزا للخلاص والرحمة والنور في ظل ما تعانيه الأمة من النكبة ولا تزال من المآسي ومحن ومصائب، صدرته النموذج الأمثل في خروجها والإنسان من التيه المادي والمعنوي على المستوى

---

1 - أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب في عضن الأندلس الرطيب، ج4، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ص 166.

2- ينظر : محمد عادل الهاشمي : أثر الإسلام في سورية ، مكتبة المنار ،الزرقاء، الأردن ، ط1، 1986، ص 51-52.

3- ينظر: زينب العاملي : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، ط4، 1321هـ، ص 293.

4- محي الدين الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، ج1، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1418هـ- 1997م، ص 291.

النفسي والاجتماعي والحضاري، واستحضاره صلى الله عليه وسلم بالحديث عن شخصه وأخلاقه وصفاته »[1] .

وفي هذا السياق نسبق بالإقرار بأن شعر الشاعرة "ليلى لعوير" يندرج أيضا ضمن مسار شعر الصحوة الإسلامية؛ حيث تستحضر في شعرها شخصية النبي محمد (الله عليه وسلم) بوصفه المخلص، الذي تلوذ إليه بحثا عن سبيل للشفاء من حالة الضعف والتيه والشقاء التي تتخبط فيها الذات الإنسانية المعاصرة ، والتي عبرت عنها الشاعرة في قصيدة " هل سأشفى؟؟؟"[2] :

أبرص
عقلي
وأحشائي
وقلبي
يا نبي
هل سأشفى
أم ترى الأبرص موبوءا
بداء الصغب
مدمن يقهر ذاتي
قاهر يقطع أنفاس حياتي
هل سأشفى
يا نبي ..

تتقاطع الشاعرة " حورية وجدي " مع الشاعرة " ليلى لعوير " في الشكوى إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ حيث تشكو إليه حال القدس الذي دنس قدسيته المستعمر الإسرائيلي [3]:

نرى طفلنا في القدس يحمل همّها وحيدا، وسيف البغي تترى مجازره
فعذرا رسول الله إن شفّ خاطري وإن عانقت شكواي مدحي تظافره

كما تستجدي الشاعرة بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه المنقذ والمخلص ورمز القوة والكمال الذي يخرج الأمة العربية مما تعانيه من يأس وضعف وهوان، وذلك في قولها[4]:

لأنت المنى والقصد والرجاء وقلبي أل براه اليتم هل أنت جابره؟

- ليلى لعوير: المرجع السابق، ص 802. 1

2- ليلى لعوير : سجدات على جبين الاعتراف، شعر ، منشورات فاصلة، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2017، ص 75-76.

3- حصة شاعر الرسول ، التلفزة الوطينية ، 2018-2019.

4- المرجع نفسه.

تعد الشاعرة المغربية " آمنة المريني" من أكثر الشاعرات المعاصرات استغراقا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتغني بجميل أوصافه، والخروج بمدحه إلى استحضار قضايا الأمة ورصد آلامها ومعاناتها وطلب الشفاعة والعون منه، ومن ذلك ما جاء في مولديتها التي تقول فيها[1]:

يا سيدي يا رسول الله معذرة من	عاشق لك صب القلب حيران
ماذا عساني أبث اليوم من شجني	وكل خطب بني الإسلام أشجاني
وصدع النفس من غم ومن نكد	هل يرأب الصدع من أهلي وخلاني
وهل ترانا نلم الشمل ثانية	في ظل حب ومعروف وقرآن
وهل ترى نورك الميمون	يترعنا بنفحة من سنا وحي وإيمان
هو الدواء لما في الروح من علل	يا خبث داء عدا كف إخوان

رصدت الباحثة "ليلى لعوير" في دراستها سالفة الذكر الموضوعات التي يدور في فلكها شعر المديح النسائي العربي المعاصر؛ مؤكدة أنها تنحصر في [2] :

- التعبير عن عواطف الحب والشوق والثناء عليه والإشادة بأخلاقه وسجاياه.
- الحديث عن هديه والتودد إليه ، حبا فيه وطلبا للقرب من الله.
- تعظيم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ووضعه في المرتبة العليا بالنسبة لبقية الأنبياء والرسل.
- التوسّل بالرسول شفاعة في الآخرة أو تطلعا إلى المأمول في الدنيا يكون فاتحة الحياة الروحية المطمئنة التي تحلق معها النفس في عوالم الصفاء والشفافية ، وقد تنتهي بصاحبها إلى التصوف تماما كما هو الحال عند الشاعرة المغربية آمنة المريني .
- الحديث عن سيرته ومولده وبعض معجزاته.
- ربط المديح النبوي بقضايا الأمة ، إذ سرعان ما ينتقل المدح إلى الشكوى إليه مما وصل إليه حال الأمة ، وأكثر الشكوى ما ارتبط بقضية فلسطين وما اعتراها من تدنيس الغاصبين لمسراه.

لعل الباحث/ القارئ المتتبع لشعر الشاعرة " ليلى لعوير"، ولحضور شعر المديح فيه يلاحظ حتما تقاطع موضوعات قصائدها المدحية مع الموضوعات سالفة الذكر ، ولعل هذا ما ستؤكده الدراسة التطبيقية لقصيدتي " ماذا أقول لأحمدا...؟؟؟" [3] ، " أنا يا رسول الله..."[4].

2- تفاؤلية الرؤيا الشعرية وحداثة التشكيل في قصيدة " ماذا أقول لأحمدا...؟":

ننطلق في مقاربتنا لقصيدة " ماذا أقول لأحمدا...؟" للشاعرة ليلى لعوير من ديوانها " سجدات على جبين الاعتراف" من قناعة مفادها أن القصيدة الشعرية تشكيل جمالي باللغة والصورة والإيقاع يعبر عن

1- آمنة المريني: ديوان ورود من زناته، دار السلمي الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص 29-30.

2- ليلى لعوير : المرجع السابق ، ص 803.

3- ليلى لعوير : سجدات على جبين الاعتراف، ص ص 67-70.

4- ليلى لعوير: أنا يا رسول الله ...، مخطوط.

موقف الأديب ورؤيته الفكرية للذات والعالم والوجود ، والتشكيل بهذا المعنى هو يريد الشاعر قوله لغة وصورة وتركيبا [1].

آمنت الشاعرة " ليلى لعوير" بقوة الكلمة الشعرية وقداستها أيضا، وبقدرتها على التأثير، وفاعلية أثرها ودوره في إحداث التغيير الباني للفرد والمجتمع، لذلك راهنت في تجربتها الشعرية على البعد الرسالي للشعر، النابع من الرؤيا الإسلامية المشحونة بالروحانيات العالية، والقادرة على خلق القيمة وتمريرها للمتلقي في قالب شعري خلاق ؛ فالشعر عندها «نفحة روح ، ولفحة وجدان»[2] ، وهو« اكتشاف الإنسان رؤية تخترق حياته، فتعلّمه كيف يسائل الكون ، فيفهم منه سر وجوده، وسرّ فنائه»[3].

أدركت الشاعرة ثقل الرسالة الملقاة على كاهل الشاعر بوصفه مثقفا فاعلا في المجتمع ، عليه أن ينهض بدور التغيير والتأثير الإيجابي في المتلقي ؛ ولعل هذا ما نستشفه من قولها: «حين تكتب شعرا ، فأنت تكتب ذاتك من الداخل، تلبس الآخر فيك بكل ما في عباءاته من خرق ، وتلبسه من مشاعرك وأفكارك ما يحمله على الاستسلام لك ، حكما يعري غروره، ويتمثّل ضعفه وانكساره ، قوته وتعاليه»[4].

لعل ما يميز رؤيا " ليلى لعوير" الشعرية هو بعدها التفاؤلي النابع من إيمان عميق وقناعة راسخة بأن الإنسان خليفة الله في الأرض ، وهو قادر على تخطي الأزمات وتجاوزها؛ فالتفاؤل بالنسبة للشاعرة منهاج حياة ورؤيا تلخص نظرتها للإنسان وللعالم ولواقعها المعيش ، ولذلك فإن الشعر في نظرها «تصوّر يجمّل غيبه بـ(لعل وعسى) حين يصدمه الواقع ، ويبسط حياته بكل ما عليها فان ، حين تعقدها الهموم، إنه معنى عميق ، عمق الحس الإنساني ، وهو يرقى بمعارج من نور إلى سر الأنوار، إنه كائن حي يحيا فينا بقدر ما نعطيه من عمق ، ويحيا في الأجيال بقدر ما يعطيها من حياة»[5].

هذا الطرح التنظيري الذي قدمت به الشاعرة لديوانها "سجدات على جبين الاعتراف "سرعان ما تجسد في قصائد المديح النبوي ، وتحديدا القصيدتين موضوع الدراسة في هذه المداخلة " ماذا أقول لأحمدا...؟؟؟" ، و" أنا يارسول الله...".

أهدت الشاعرة "ليلى لعوير" قصيدتها « إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إهداء شفاعة»[6]، وإذا تأملنا في أبعاد هذا الإهداء نجد هذا التجلي لإيمانها المطلق بقدسية الكلمة الشعرية وصفائها وسموها بما يليق أن تكون هدية تقدم إلى رسول الله تشفع لها يوم لا ينفع مال ولا بنون.

1- طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، لبنان، ط1، 2000م، ص 46.

2- المصدر السابق، ص 25.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- ليلى لعوير: ديوان سجدات على جبين الاعتراف ، ص 25-26.

6- المصدر نفسه ، ص 67.

براءة الفعل وعفويته نابعان من صدق وإخلاص كبيرين في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يميز قصائد المديح النبوي عموما.

اختارت الشاعرة لقصيدتها عنوانا في صيغة سؤال يشد انتباه المتلقي ويشركه في صياغة المحذوف في بنيته التركيبة، والبحث عن إجابة شافية وافية تسكت روح السؤال المطروح؟

تكشف القراءة المتتبعة لمقاطع القصيدة عن المحذوف في البنية التركيبية للعنوان ، والذي يحوّل القصيدة إلى وقفة انكسار وخشوع في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولعل الشاعرة استحضرت هذه اللحظة النورانية التي تطمح إليها كل مسلم آمن بالرسالة المحمدية " ماذا أقول لأحمدا يوم المثول بين يديه ؟؟؟".

من هنا تبدأ تفاصيل المدحية النبوية التي إلتزمت الشاعرة بالتسلسل المعهود في قصائد المديح النبوي ؛ حيث بدأت بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتغني بصفاته وبعظمته ورقي اختلافه والتعبير عن حبه والتعلق به في قولها [1]:

سيّد الأنوار
نور الكون
في الدنيا امتلاء
أحمد الأخيار معراج السماء
خلق عظيم وارتقاء
متدثر بالله دعوته الإخاء
متدثر بالصدق
سمعته الوفاء
حق تجذّر في الورى؛
فتفجر الخير الرّواء

لا يتردد الباحث / القارئ لهذه القصيدة في رصد حداثة تشكيلها الفني ، فقد اختارت الشاعرة لهذه اللحظة النورانية- لحظة الوقوف بين يدي رسول الله- لغة من نور ، تخرج عن التعبير العادي إلى التشكيل المشحون بالمجاز، كما اختارت نظام الأسطر الشعرية المتحرر من سلطة النموذج التقليدي لاحتواء الدفقة الشعوية المنبعثة من أعماقها حبا للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيما لشأنه، حيث تقول[2] :

يا أحمد العظماء
والبسطاء

1- المصدر نفسه ، ص 67- 68.

2- ليلى لعوير : سجدات على جبين الاعتراف، ص 68.

والكرماء
يا خير الورى والأنبياء
مني السلام الحر يقطر بالجوى
ومن الحبيب الارتواء
مني اعتذاري،
انكساري
انحساري
ومن الطبيب الاحتواء

في لحظة المثول أم شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ضعفها وانكسارها أيضا ما خول للشاعرة توظيف أداة النداء يا التي تفيد نداء القريب / البعيد في الآن ذاته، فهي ماثلة أمام رسول الأمة بكل انكسارها وخيباتها تتغنى بجماله منبهره بنور وجهه " وجه السماحة والبهاء" ، ولعل لحظة الدهشة من عظمة الموقف هي التي فجرت هذا السؤال " ماذا أقول لأحمدا ...؟؟" ، لأن اللغة عاجزة وقاصرة أمام اتساع الرؤيا وجلال الموقف وهيبته.

تكشف القراءة المتتبعة لمقاطع القصيدة عن اجتهاد الشاعرة في استحضار إجابات تسكت روح السؤال المنتظر ؛ حيث تقول [1]:

ماذا أقول لأحمدا
أأقول إن الله شاء،
وشاء،
وشاء
أن يحمل السبّ المسيس للكبير الاعتلاء
أن يبدل الثوب القشيب بكوثر فيه ارتواء
أأقول إن الله شاء الكبرياء
ومشيئة الرحمان
فوق مشيئة الجهل المركّب بالخواء

لحظة الوقوف بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للارتواء من مياه نهر الكوثر، لحظة يطمح إليها كل مسلم مؤمن بالرسالة المحمدية ، مدرك لحقيقة الحياة الدنيوية ، بأنها لحظة ابتلاء ودار شقاء وخواء، طامع في الآخرة، مجتهد في بلوغها ، صافي السريرة مترفع عن المكائد ، وهو ما عبرت عنه الشاعرة بـ" الثوب القشيب" النظيف الناصع المتملص من دنس الدنيا وزيفها ، وقد استخدمت الشاعرة أسلوب التكرار للفظة "شاء" في سياقين مختلفين ، الأول منهما مرتبط بالحياة الدنيوية المطبوعة بالمعاناة والآلام،

1- المصدر نفسه ، ص 69.

أما الثاني فمرتبط بالآخرة حيث الجنة والخلود فيها والارتواء بشربة من يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ظمأ بعدها.

تتجلى تفاؤلية ليلى لعوير في جنوحها صوب تمثل نموذج الإنسان الكامل، الذي تجسد في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستحضارها لهذه الشخصية بكل ما تحمله من قيم رفيعة، دعوة ضمنية منها إلى ضرورة إعادة إحيائها وبعثها في واقعنا وفي حياتنا اليومية ، لأننا أمس ما نكون لقيم الخير، والأمانة، النبل، الإخلاص؛ حيث تقول [1] :

أأقول أن محمدا حسّ الأمانة
جوهر متجدد فيه النماء
حق تجذر في السماء
أأقول إنك يا حبيب الارتقاء
الاعتلاء
الامتلاء
أأقول إنّك صورة الإخلاص
مصباح الضياء

اللافت في كلمات القصيدة ، وهذا المقطع تحديدا ، أنها جاءت معرفة ، والتعريف يحد الدلالة ويحددها فكأننا بالشاعرة تبرم ميثاقا قرائيا مسبقا مع التلقي ، فهي تستحضر الحمولة الدلالية الكاملة للكلمة التي لا يختلف عليها اثنان(الأمانة، السماء، الارتقاء، الاعتلاء، الامتلاء، الإخلاص، الضياء)، وهو عينه ما ذهبت إليه في قولها[2]:

أأقول إنّك في الورى المختار
مختار النقاء
أأقول إنّك يا رسول الله معراج العطاء

فكلمات (المختار، النقاء ، العطاء) فيها من الدلالات الإيجابية والقيم الإنسانية الرفيعة التي لابد أن نتمثلها في أخلاقنا وتعاملاتنا اليومية.

" ليلى لعوير" شاعرة تنتمي إلى حركة الأدب الإسلامي، أو ما تفضل هي الاصطلاح عليه بـ " الأدب الباني" ، مؤمنة بالبعد الرسالي للأدب ، وبالقيمة الفاعلة والمؤثرة للكلمة الشعرية ، ولذلك فهي دائما على عهد الوفاء للتعاليم الإسلامية وللرسالة المحمدية ، ولا تتردد في التذكير بأنها محمدية الهوى والنهج ، ولعل هذا ما يتضح في قولها[3]:

أأقول إن عز اللقاء

1- ليلى لعوير: سجدات على جبين الاعتراف، ص 69.

2- ليلى لعوير: سجدات على جبين الاعتراف، ص 70.

3- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

وجاء وعد الحق

جاء

منك الشفاعة

يا حبيب

ومن فؤادي المدح

والعهد المتين على الوفاء.

تخلص الشاعرة إلى الغرض الأساس من نصها ، الذي صرحت به في الإهداء ، حيث تربط نهاية القصيدة ببدايتها ، فالغاية الأساس هي رجاء الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم طمعا في الجنة بجواره، وهي في هذا تتقاطع مع عديد قصائد المديح النبوي التي تجنح صوب طلب الشفاعة بوصفها أقصى ما يطمح إليه كل مسلم.

3- البعد الرسالي في قصيدة " أنا يا رسول الله ...":

يتجلى في قصيدة " أنا يا رسول الله ..." البعد الرسالي للشعر الذي آمنت به الشاعرة وتبنته في مسارها الإبداعي؛ حيث حضرت الذات الشاعرة مهمومة متفاعلة مع قضايا أمتها، واعية بالأخطار الجسيمة التي تتربص بها منذ ابتعدت عن النهج المحمدي الرشيد.

إلتزمت الشاعرة بعناصر بناء قصيدة المديح النبوي ؛ حيث افتتحتها بالبوح بحبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشوقها للقائه ؛ حيث تقول[1] :

أنا يا رسول الله قلبٌ عاشقٌ مذ أشرقت روحي وحلّ سناك

وطمعت صدقا أن أراك وأحتمي بالنظــرة العجلى إلى رؤيــاك

يا سيد الأخيار إني مــغرم هلّا ارتوت عيني بنور بهـــاك

وتأمّلت منّي المطامع كلها أن ينتهي شوقي إلى لقـــياك

ثم تدرجت طلبا أن يشفع لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقولها[2]:

روحي تأبّطت المكارم جلّها تبغي الشفاعة تحتمي بحماك

أنا يا نبيُ بليْت كليّ بالجوى هل مثلنا يلقى رضا مولاك

هذي المآمل مبتغى لمتيّم حنّت مواجدُها لنور بهاك

1- ليلى لعوير: قصيدة أنا يا رسول الله ، مخطوط

2- المصدر نفسه.

تصل الشاعرة إلى الشكوى مما آل إليه حال الأمة ، خاصة ما تعانيه القدس من ويلات الاستعمار الإسرائيلي ، مرجعة السبب إلى بعدنا عن الدين الإسلامي ، وعن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث تقول[1] :

وتسمّرت بالباب وارفة الهوى خجْلى وجمرها أشهبٌ في فضاك

لهبٌ تورّد في العيون مدامعا سقطت هتونا تشتكي الأضْناك

وتعانق اللّيْل الكئيب نهارُه ترجو مع ذلّ النّهار سمَاك

من ذا يطيق مواجعي يا سيّدي ومواجعي لا تحتمي بسواك

قُدْسي مشتتةٌ، وأرضي ضيعةٌ عاث الفساد بها وضاع ضناك

قد أُقبرت فيها المباهجُ كلّها حتى غدا الزّهر النّدِي أشواك

يروي عروق الرّوح بالضُرّ الذي **ما طاق حرٌّ جمَرَه فدعـاك**

أنا يا رسول الله خاطرةُ السُرى مذ أمتي باعتْ دروبَ خُطاك

وتبدّلت فيها الوجوهُ وأظلمَتْ شمس الشموس وأشرقتْ إرباك

خانت مواعيدَ الفتوح وأيقنتْ أنّ النّهار صناعةٌ بسواك

تاهت وما تدري بأنها أخطأت والليلُ يسرحُ يرصدُ الأفلاك

نستحضر في هذا المقطع الشعري شعر الحركة الإصلاحية في الجزائر ، القائم على أن الشعر رسالة تتضمن أبعادا تربوية وإصلاحية على الشاعر أن يؤديها؛ حيث «كان ينظر إلى الشعر بوصفه وسيلة من وسائل الإصلاح، والنهوض ، والوعظ ، والإرشاد والتربية ، والتوجيه »[2] .

تؤكد الشاعرة تعلقها بقضايا أمتها وإخلاصها في الدفاع عنها حتى يوم لقائها برسول الأمة، فتشهده ذلك ويكون عليها شهيدا ، ولعل هذا ما خلصت إليه بقولها[3] :

أنا يا رسول الله قلب مغرم هل ترتوي روحي بنور لقاك

فأقول في سرّي وجهري أمّتي فتعمُّها الخيرات مِن يُمناك

أوَ لَسْتَ من خُلِق الوُجُودُ لأجلِه ولأجْلِه غنَّى الزَّمانُ هَوَاك

1- المصدر نفسه.

2- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 282.

3- ليلى لعوير : أنا يا رسول الله ، مخطوط.

لعل ما يمكن الركون إليه في الأخير هو الإقرار بأن الشاعرة ليلى لعوير صاحبة مشروع إبداعي باني، غايته الأساس هي زرع القيم المحمدية السمحة، وقد اتخذت الشاعرة من قصيدة المديح النبوي سبيلا لاستحضار النموذج الإنساني الكامل والقدوة الذي تستمد من حضوره العطر القوة، والقيمة الإنسانية السامية التي تستطيع بها مقاومة الواقع المعيش بكل أزماته.

استطاعت الشاعرة أن ترسم لنفسها حيزا خاصا بها – وفي شعر المديح النبوي تحديدا – نتاج صدقها وإخلاصها في التعبير عن رؤيتها الذاتية النابعة من تعلقها بالنهج المحمدي وبتعاليم الدين الإسلامي، ورغبتها في أن ترقى بالكلمة الشعرية إلى مصاف العمل الصالح الذي تؤجر عليه ويشفع لها يوم القيامة.

..